

## في تقاطعية الإقصاء الاجتماعي والعنف لدى الشباب

محمد راضي

-باحث في علم الاجتماع  
- مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية  
-كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز-فاس(المغرب)

### **Résumé**

*La violence des jeunes est devenue, aujourd'hui, l'un des problèmes sociaux qui sont considérés, par les sociologues, en étroite liaison avec « La question sociale » dans toutes ces dimensions. Notre présent article essaie de montrer, à travers le concept d'intersectionnalité, comment cette violence ne peut être étudiée, sociologiquement, sans le recours à une analyse méticuleuse des processus d'exclusion sociale que subissent les jeunes délinquants*

### **Mots clés**

*La Violence – les jeunes – l'exclusion sociale- l'intersectionnalité – l'inégalité économique et sociale.*

### **Summary**

*Dir violence of young people became, today, one of the social problems which are considered by many sociologists in narrow connection with " the social question " in all these dimensions. Our present article tries to show, through the concept of intersectionality, how this violence cannot be studied, sociologically, without the appeal to an accurate analysis of the processes of social exclusion which produce the juvenile delinquency.*

### **Keywords**

*Violence - young people - the social exclusion- the intersectionality - the economic and social disparity.*

## 1\_ العنف بين التعدد الدلالي والشفرات الاجتماعية

إذا كان من السهل التعرف على الفعل العنيف أو ملاحظته، فإن تعريفه ليس مسألة سهلة<sup>1</sup>، إذ من الصعب إعطاؤه مضموناً علمياً واضحاً<sup>2</sup>. فالبعض عرّفه بأنه السلوك العدواني الذي قد تحول إلى جنوح أو مرور إلى الفعل (Passage à l'acte)، بينما اعتبره آخرون ذلك الاستخدام المادي والإرادي للقوة، في اتجاه إلحاق الضرر بشخص ما<sup>3</sup>، أو الفعل الذي يخرق المعايير أو القواعد والوضعيات التي تعتبر طبيعية أو عادية أو قانونية<sup>4</sup>. أو هو كل فعل مرتبط بالصراع والنزاع والعراك<sup>5</sup>، أو نوع من العلاقة بالغير، أو بالذات، قائمة على الخوف والإقصاء والقلق<sup>6</sup>. أو هو ذاك الفعل المرتبط بالإكراه الفزيائي أو النفسي، الذي من شأنه أن يولد المعاناة أو الرعب أو الموت لدى كائن حي. أو يؤدي، على نحو إرادي أو غير إرادي، إلى إلحاق الأذى بالغير، أو تدمير أشياء جامدة<sup>7</sup>.

وإذا كان بعض الدارسين، أمثال "روجي ديفور جومبيرس" (Roger Dufour-Gompers) يقترح "تمييز العنف عن الإكراه و عن القوة التي يمكنها أن تمارس تجاه الغير من أجل صالحه و من دون أن تلحق به الأذى ضمن علاقة احترام فعلية"<sup>8</sup>، فإن "روجي إستابليت" و " كريستيان بولدو" ( Roger Establet - Christian Baudelo)، على سبيل المثال، قد بينا أن الإكراه الذي تمارسه المدرسة لأجل صالح التلاميذ، على سبيل المثال، يخفي عنفا تمارسه البرجوازية، المتحكمة في الجهاز الإيديولوجي للدولة، وبالتالي في ميكانيزمات الانتقاء المدرسي، على الطبقة المسحوقة. من خلال الإبقاء على التفاوتات الاجتماعية التي تقتضي قننا لسانيا خاصاً بالبرجوازية.

أما مسألة ارتباط الفعل العنيف بإلحاق الأذى بالغير (أو بالذات) فإنها تستدعي، بالنسبة لـ "كريستيان مالرو" (Christian Molaro)، ربطه بفكرتي القصدية والمسؤولية<sup>9</sup>. فالفعل العنيف الذي يقوم به طبيب الأسنان وهو يؤلم المريض عند إزالته للضرس، على سبيل المثال، فعل مخالف لفعل ضرب شخص بقصد إيذاؤه. إن مثل هذه الزاوية في النظر إلى الفعل العنيف، هي التي ستدفع "كريستيان مالرو" إلى تحديد هذا الفعل عبر مفاهيم أخرى كالعُدوانية (agressivité) والاعتداء (agression). فالعدوانية، كميل أو مجموعة من الميولات التي قد تظهر في السلوكيات الواقعية أو المتخيلة والتي تتضمن غاية إيذاء الآخر<sup>10</sup>، تتميز عن الاعتداء، الذي قد يكون وسيلة لبلوغ هدف معين (agression instrumental) كالسرقة دون غاية إلحاق الأذى الجسدي

<sup>1</sup> Ringa Rachid et Jeffrey Denis . (2011). *Violence et crimes manifestations et remèdes*. Rabat.p. 25

<sup>2</sup> Faget Jacques . (2002). *Sociologie de la délinquance et de la justice pénale*. érés.p123.

<sup>3</sup> Chesnais Jean-Claude . (1981). *Histoire de la violence*. (R. Laffont, Éd.) Paris.

<sup>4</sup> Yves Michaud. (2010). *la violence* (éd. 6). Paris: Point Delta(6eme éd).

<sup>5</sup> Maffesoli Michel . (1984). *Essai sur la violence*. Paris: Klincksieck.

<sup>6</sup> Sibony Daniel. (1998). *Violence*. Paris: Seuil.

<sup>7</sup> Héritier François . (1996). *De la violence*. Paris: Odile Jacob.

<sup>8</sup> Dufour-Gompers Roger. (1992). *Dictionnaire de la violence et du crime*. Toulouse: Eres. p.407

<sup>9</sup> Molaro Christian . (1998). *violences urbaines et violences scolaires*. Harmattan. pp. 8-9

<sup>10</sup> Goffman Erving. (1991 (1974)). *Les Cadres de l'expérience*. (I. J. Joseph, Trad.) Paris: Minuit. p. 30

بشخص ما. بالرغم من أن الاعتداء قد تكون الغاية منه الاعتداء الجسدي الإرادي على الغير، عندما يكون عبارة عن رد فعل (agression réactive)<sup>1</sup>.

مع ذلك، فإن الفعل العنيف قد يحيل، لدى بعض الدارسين، على ما هو غريزي مرتبط بحماية الذات وضمان بقائها، وليس بغاية إيذاء الآخر. وهو ما نجده لدى "جون بيرجري" (Jean Bergeret) الذي يميز بين غريزة العنف التي ترتبط بالدفاع النرجسي الأصل عن النفس، والعنوانية التي هي الاتجاه (l'attitude) المرتبط بالكرهية وبالسادية، بحيث لا يشكل هذا الاتجاه غريزة طبيعية. غير أن العنوانية لا بد لها من أن تستدمج العنف الطبيعي لكي تغير جذريا اتجاهه، من مجرد الدفاع عن النفس وحفظ البقاء، إلى الهجوم على الغير بهدف إيذائه وإشباع نزوات مرضية تتعلق بالكرهية وبالسادية. وهو ما سيجعل "بيرجري" "يعتبر فكرة العنف لا تحيل إلى رغبة خاصة في إيذاء الآخر. لكن غريزة العنف قد تستدعي الأفعال الدفاعية "العنيفة" عندما تشعر بأنها مهددة<sup>2</sup>

إن مثل هذا التعدد في تحديد دلالة العنف سيدفع "جوديث لازار" (Judith Lazar) إلى محاولة استقراء أهم تعاريف العنف لبناء دلالاته العامة لمفهوم العنف. فالعنف، بالنسبة لـ "جوديث لازار"، يشير إلى فعل الهجوم الفزيائي المؤدي إلى القتل، أو الجرح أو إحداث إعاقة بالغير، على نحو مباشر أو غير مباشر. مع ذلك، فإن هذه الدلالة، التي هيمنت لدى العديد من الدارسين، والتي جاءت نتيجة تأثرهم بالمعنى الإيتيمولوجي للعنف، كفعل يحيل على القوة المادية القابلة للملاحظة، في مقابل صعوبة ملاحظة أشكال أخرى من العنف غير المادي<sup>3</sup>، لا يمكن أن تجعلنا نغفل أشكالاً من العنف غير المادي، كالعنف اللفظي والأخلاقي والرمزي عموماً. والذي أصبح من مميزات المجتمعات المعاصرة. هذه المجتمعات التي ينبغي أن نراجع فكرتنا عنها، كمجتمعات يقل فيها العنف. يقول "أوليفي مورغان" (Morgin Olivier)، في معرض دراسته لعنف الصورة داخل هذه المجتمعات: "إن الفكرة السائدة اليوم عن أننا نعيش داخل مجتمعات يقل فيها العنف باستمرار، هي فكرة تحتاج إلى أن يتم فحصها بعناية"<sup>4</sup>

من المؤكد إذن أن مفهوم العنف يختلف باختلاف الثقافات والمراحل التاريخية، فهو من المفاهيم التي يتأثر تحديدها بالشفرات (codes) الاجتماعية والسياسية التي تمنحه دلالاته<sup>5</sup>. فالمجتمعات المعاصرة قد منحت العديد من الوقائع والأفعال، التي كانت موجودة في فترات تاريخية سابقة، دلالاتها كوقائع عنف. فنحن "نحتفظ باستمرار بإمكانية تغيير معنى الماضي"<sup>6</sup>

من هذا المنطلق فإن فهم الفعل العنيف سيستدعي تأطيره ضمن إشكالية المعايير، ما أن كل سلوك اجتماعي هو محكوم بمعايير يتم التعبير عنها بواسطة قواعد تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مجموعة اجتماعية

<sup>1</sup> Molaro Christian . (1998). *opc.* p. 12

<sup>2</sup> Bergeret Jean . (2002). La mère, l'enfant... et les autres Violence et agressivité. *Médecine & Hygiène | Psychothérapies*, 22 (3 ), pp. 131-132

<sup>3</sup> lazar Judith . (2002). *La violence des jeunes comment fabrique-t-on des délinquants?* Flammarion. p. 24

<sup>4</sup> Mongin Olivier . (1997). *La violence des images*. Paris: Seuil. p. 15

<sup>5</sup> Debarbieux Eric . (1997). *la violence en milieu scolaire -1- Etat des lieux* (éd. 2). Paris: ESF. p. 35

<sup>6</sup> Jean-Paul Sartre. (1943). *L'Être et le néant. Essai d'ontologie phénoménologique*. Collection Bibliothèque des Idées, Gallimard. p. 160

إلى أخرى، وتتغير عبر الزمان<sup>1</sup>. ففي مجتمعنا المغربي، على سبيل المثال، كانت العديد من الأفعال، التي نعتبرها اليوم أفعال عنف، مندرجة ضمن عملية التنشئة الاجتماعية. فمعاقبة المعلم الطفل عبر وسيلة الضرب، أو ضرب الزوج لزوجته، كانت، عموماً، من الأفعال التي يتقبلها المجتمع التقليدي كأشكال للتأديب وتصحيح السلوك. لكننا اليوم نلاحظ كيف أن مثل هذه الأفعال أصبحت مصنفة، عموماً، كأفعال عنف بدأ المجتمع يرفضها.

## 2\_ العنف واللامساواة الاقتصادية والاجتماعية

ربط "مرتون" (Merton)، ضمن المدرسة الوظيفية، بين اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية وبين الانحراف والعنف، واعتبر الحرمان السوسيو-اقتصادي من بين أهم أسبابهما، وذلك عندما تكون هناك فجوة بين تطلعات الأفراد نحو المكانات السوسيو-اقتصادية التي تقوم على تحقيق الكسب المادي، كغيات يضعها المجتمع<sup>2</sup>، وبين المعايير التي يضعها هذا المجتمع لكي يحقق الأفراد هذه التطلعات. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه المدرسة، وفق ما وجه إليها من نقد، لا تتمكن من تفسير الجريمة والانحراف في المجتمعات التي لا تتميز بالتفاوت الكبير بين الفئات المرفهة والجماعات المحرومة<sup>3</sup>.

وفي إطار النظريات الصراعية، وضمن ما يسمى بـ "علم الجريمة الجديد" سيتم تفسير السلوك المنحرف كرد فعل على أوضاع اللامساواة في النظام الرأسمالي. هذه الأوضاع التي تعمل الدولة في كثير من الأحيان على محاولة إخفائها. وهنا يقول أنتوني غدنز أن "مبالغة الدولة والإعلام في إثارة الفزع من جراء حوادث الاعتداء في الشوارع مثلاً، هي-لتنشيت الانتباه عن قضايا الفجوات الهيكلية داخل المجتمع"<sup>4</sup>. تلك الفجوات التي تخلق مناطق سكنية تنسم بالهشاشة والفقر، مما يجعل "احتمال وقوع المرء ضحية للجريمة يرتبط على نحو وثيق بطبيعة المنطقة التي يقيم فيها، إذ تكثر معدلات الجريمة في المناطق التي تعاني الحرمان المادي"<sup>5</sup>.

إن مثل هذه النتيجة ستؤكد لها إحدى الدراسات السوسولوجية حول ظاهرة تشغيل الأطفال في علاقتها بأحياء الوسط شبه الحضري بفاس، كوسط يعرف الهشاشة والفقر. والتي بينت أن "التواجد في الوسط شبه الحضري يعرض السكان والأطفال بالخصوص إلى كثير من المشاكل كالشجارات والضرب والانحرافات والنزاعات في أزقة هذه الأحياء"<sup>6</sup>.

لهذا السبب يعتبر إبراهيم حمداوي، في معرض تحليله للتغير الاجتماعي وظاهرة الجريمة بالمغرب، أن دراسة الجريمة يجب أن تتم "باعتبارها سلوكاً اجتماعياً مرتبطاً بسياق سوسيو-اقتصادي إلى جانب سياقها السياسي والشخصي"<sup>7</sup>. مما يعني أن تنامي العنف والجريمة مرتبط ببناء المجتمع وبأنساقه الاجتماعية.

<sup>1</sup> lazar Judith . (2002). op.c. p 44.

<sup>2</sup> يتحدث Merton عن المجتمع الأمريكي خصوصاً، لكننا نرى أن المجتمع المغربي لا يند عن مثل هذا المنحى العام. خصوصاً وأنه مجتمع أصبح يولي الأهمية أكثر فأكثر للمكانات السوسيو-اقتصادية وللربح المادي.

<sup>3</sup> غدنز أنتوني. علم الاجتماع. مرجع سابق صص 284-285.

<sup>4</sup> غدنز أنتوني. علم الاجتماع. مرجع سابق ص 288.

<sup>5</sup> غدنز أنتوني. علم الاجتماع نفسه ص 292.

<sup>6</sup> امعمري لحبيب . (أبريل، 1999). دراسة ظاهرة تشغيل الأطفال في علاقتها بالوسط شبه الحضري. (مختبر الأبحاث و الدراسات النفسية والاجتماعية جامعة محمد بن عبد الله كلية الآداب و العلوم الإنسانية ظهر المهرز فاس، المحرر) دفاتر (الطفولة بفاس معطيات وتساؤلات). ص 73

<sup>7</sup> حمداوي إبراهيم. (2012). التغير الاجتماعي و ظاهرة الجريمة بالمغرب. مقاربات. ص 42

ويعكس ظروفه السياسية والثقافية والاقتصادية. ولذلك فإن دراسة هذا الفعل يمكننا من دراسة "التحديات التي تعرفها المجتمعات في طور النمو"<sup>1</sup>.

إن الحرمان السوسيو-اقتصادي سيجعل بعض السوسيولوجيين، الذين سيستلهمون عناصر التحليل التي قدمها "جون دولار" (John Dollar) في نظريته حول أثر الحرمان في تطور الاعتداء، يدرسون العلاقات بين كم الأحداث العنيفة و عدد من المؤشرات السوسيو-اقتصادية. يقول "ييفيس ميشو" (Yves Michaud) في هذا الصدد: "لقد عمل بعض السوسيولوجيين (... ) عبر استلهمهم نظرية الاعتداء كنتيجة للحرمان التي نجدها عند "جون دولار"، على إيجاد الترابط بين وقائع عنيفة و عدة مؤشرات سوسيو-اقتصادية"<sup>2</sup>

إن مثل هذه المؤشرات، عندما تدل لدى الأسر على سوء ظروفها المعيشية، قد تشكل عوامل خطر تتضافر مع عوامل أخرى متداخلة ضمن سياقات محددة، لتؤدي إلى تطور الجنوح و الجريمة، كأفعال مضادة للمجتمع. وهو ما بينته نتائج البحث الذي قام به "شeldon و Eleanor Glueck" (sheldon and Eleannor Glueck) تحت عنوان (كشف جنوح الأحداث Unraveling Juvenil Delinquency) في ولاية ماسا سوشيتس في الولايات المتحدة الأمريكية. بحيث "تبين أن 68,2% من الجانحين نشؤوا في أسر كانت ظروفهم المعيشية سيئة في يقابل ذلك 16% من غير الجانحين"<sup>3</sup> أي أن 16% فقط من غير الجانحين كانت ظروف أسرهم المعيشية غير سيئة. وهو نفس ما استخلصته دراسة ميدانية حول الجريمة في المجتمع الإيطالي، والتي ستجد أن " الطبقات الفقيرة في إيطاليا، التي تصل إلى 60% من السكان، تخرج منها من 85% إلى 90% من المجرمين"<sup>4</sup>.

انطلاقاً إذن من الروابط القوية التي توجد بين هشاشة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وعنف الشباب، فإن بعض السياسات الاجتماعية المتعلقة بمحاربة أسباب الإقصاء الذي ينتج عن سيرورات الهشاشة المتعددة المظاهر، سترتبط في بعض الدول كفرنسا، على سبيل المثال، منذ سنة 1980 بسياسات الوقاية من الجنوح<sup>5</sup>. مما يبين أن هذه السياسات تنطلق، بناء على دراسات وأبحاث ميدانية، من أن الهشاشة والفقر في المجتمع، هي من بين العوامل التي تتسبب في انتشار الجريمة والجنوح بأشكالهما المختلفة داخل المجتمع. وأن مواجهة هذه الظواهر ينبغي أن تعتمد سياسات تنموية وقائية.

### 3\_ الحرمان الاجتماعي والعنف لدى الشباب

من المهم بداية أن نشير إلى ضرورة الحذر من اعتبار مفهوم الشباب من المفاهيم الواضحة بذاتها. فمن الدارسين من اعتبر الشباب تلك الفئة الاجتماعية التي تتميز عن الجيل الذي وصل فعلاً إلى النضج "دوبيس

<sup>1</sup> حمداوي إبراهيم. التغير الاجتماعي و ظاهرة الجريمة بالمغرب نفسه.

<sup>2</sup> Yves Michaud. (2010). *la violence* (éd. 6). Paris: Point Delta(6eme éd). p. 87

<sup>3</sup> الياسين جعفر عبد الأمير. أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. مرجع سابق. ص 62

<sup>4</sup> الجميلي خيرى خليل . (1998). السلوك الانحرافي في إطار التخلف و التقدم. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. ص 320

<sup>5</sup> Prieur Elisabeth . (2007). LE TRAVAIL SOCIAL FACE À LA PAUVRETÉ. (D. B. Supérieur, Éd.)

*Pensée plurielle* , 3 (16). p. 21

موريس (Debesse Maurice)، وتنتهي عند سن الثلاثين<sup>1</sup>. أو التي لم تدخل بعد إلى ميدان الشغل ولا الزواج<sup>2</sup>، أو المرحلة العمرية التي "تمتد من 15 إلى 20 سنة"<sup>3</sup>.

والشباب، بالنسبة لـ "كول لاثان" (Kohl Lathanh) هم الفئة التي تعبر عن استمرارية الحركية الاجتماعية وتجديدها<sup>4</sup>. لكنها بالنسبة لـ "جيرار ليت" (Gérard Lutte) هي الفئة التي لا تحظى، عموماً، بمكانة واضحة داخل المجتمع، بالرغم من أنها فئة عمرية ذات وجود سوسيولوجي<sup>5</sup>. مع ذلك، فإن بعض الباحثين لم يعتبروا الشباب مرحلة عمرية واحدة، إذ هناك مرحلة الشباب الأولى، أو المراهقة، وتمتد من فترة البلوغ حتى سن الواحدة والعشرين، حيث يحقق الفرد مستوى عالي من النضج الجنسي والانفعالي والاجتماعي، ومرحلة الشباب الثانية، وتمتد من السن الواحدة والعشرين إلى سن الثلاثين، حيث يصل الفرد إلى ذروة النضج الجسمي والوجداني والفكري والاجتماعي<sup>6</sup>.

يتبين إذن أننا أمام مفهوم بصيغة المتعدد، وأن أي اختيار تعريفاتي définitionnel، يحيل على مسلمات وخلفيات نظرية محددة. لكن مهمي تعددت تحديدات هذا المفهوم، فإن الأساسي، بالنسبة لنا ضمن هذا المقال، هو أن نفهم دور هشاشة الوضع الاجتماعي والاقتصادي لهذه الفئة، وما يرتبط بها من إقصاء اجتماعي، في تنامي تعرض و/أو ارتكابها للعنف داخل المجتمع.

لابد بداية من التأكيد على أن الربط بين تنامي أفعال العنف وحدتها لدى الشباب وتدني المستوى السوسيوي-اقتصادي، يقتضي نوعاً من الحذر الإبستمولوجي. يقول خيرى خليل الجميلي في هذا الصدد: "ما يؤكد تلك الفكرة التي تقول أن الفقر قد لا يكون العامل الوحيد لتفسير السلوك الانحرافي هو متانة الخلق و الشجاعة و الأمانة، التي يبديها كثير من الآباء الذين يفضلون الجوع على السرقة و يغرسون هذا الاتجاه في أبنائهم حتى في الأحياء الفقيرة و المناطق التي يخيم عليها العوز و التعاسة"<sup>7</sup>. لكننا نعتبر بأن هذه الملاحظة ذات أهمية عندما لا يعرف المجتمع اختلالات قيمية بمؤسسات الضبط الاجتماعي الكلاسيكية (كالأسرة، والمدرسة، وغيرهما). إذ عندما يرافق الإقصاء الاجتماعي والسوسيوي-اقتصادي للشباب هذه الاختلالات، فإن احتمالات تحوله إلى طاقة لإنتاج العنف، تكون احتمالات كبيرة إلى حد بعيد.

فالشباب اليوم، أصبح يعرف حاجيات جديدة متنامية، لن يتمكن من الحصول عليها عندما يكون في وضعية هشاشة سوسيوي-اقتصادية واجتماعية. وهي حاجيات عبر عنها عالم اجتماع إدريس بن سعيد بقوله: "إن اللباس على النمط الشبابي، والأكل خارج المنزل، والتوفر على أشياء للتسلية، وعلى ما هو كمالي، والحصول على مصروف الجيب، هي من الحاجات الجديدة الأساسية بالنسبة لفئة واسعة من الشباب"<sup>8</sup>. إن وضعية الحرمان هذه، عندما تكون قوية ومزمنة، من شأنها أن تدفع العديد من هؤلاء الشباب، إلى الاعتداء على ملك

<sup>1</sup> أوزي أحمد . (2011). المراهق و العلاقات المدرسية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة (الطبعة الثالثة). صفحة 17.

<sup>2</sup> ربيع مبارك. (1996). الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين (منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية). الرباط: ص 18

<sup>3</sup> خير الزراد فيصل محمد . (2004). مشكلات المراهقة و الشباب في الوطن العربي. بيروت: دار النفائس. ص 13

<sup>4</sup> Lathanh Kohl . (1978). *Jeunesse exploitée, jeunesse perdue*. Paris: PUF.

<sup>5</sup> Lutte Gérard . (1982). *Supprimer l'adolescence?* Paris: ouvrières.

<sup>6</sup> جلال سعد . (1971). المرجع في علم النفس. دار المعارف المصرية. ص 79

<sup>7</sup> الجميلي خيرى خليل . (1998). السلوك الانحرافي في إطار التخلف و التقدم. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. ص 227

<sup>8</sup> Driss Bensaid. (2005, juin/juillet). Les jeunes marocains et la gestion des risques (sexualité, tabagisme et drogues). (H.-C. a. Plan, Éd.) *Les Cahiers du plan dossier spécial la jeunesse marocaine attitudes, comportement et besoins* . p. 31

الغير أو العدوانية أو الإدمان أو الجنوح والجريمة. أو أشكال من السلوك اللامدني، كتعبير عن رفضه لوضعية الإقصاء. خصوصاً مع وضع اختلال الضبط الاجتماعي الذي كانت تمارسه مؤسسات إعادة إنتاج القيم الاجتماعية في ضل التحولات القيمة التي تعرفها المجتمعات المعاصرة، ومنها المجتمع المغربي.

إن هشاشة الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسر التي تضم شباباً، تجعل الآباء أقل انخراطاً في مسؤولياتهم التربوية تجاه أبنائهم، فعجزهم السوسيو-اقتصادي أمام حاجيات أبنائهم، يُعزّض مكانتهم كأباء إلى الاهتزاز. فيتصورهم أبنائهم عاجزين عن تحقيق انتظاراتهم<sup>1</sup>.

لقد اعتبرت بعض الدراسات التي اهتمت بالعلاقة بين التعاطي للمخدرات والهشاشة الاقتصادية والاجتماعية والعلائقية التي يعيشها جزء من الشباب اليوم، هي إحدى عوامل الخطر التي تمهد الطريق نحو تنامي أفعال العنف<sup>2</sup>. فاستمرار وضعية الهشاشة وتأثيرها على مناحي الحياة الاجتماعية المختلفة، من شأنه أن يرفع من حدة خطر الإقصاء، وبالتالي تمهيد الطريق نحو ظهور اضطرابات السلوك التي منها أفعال العنف الخطيرة. يقول الباحثان "إيزابيل فوندكاستيلي وألكس لوفيفر" (Alex -Isabelle Vandecasteele - Lefebvre) بهذا الصدد: "إن استمرار وضعية الهشاشة واتساع دائرتها على عدة مستويات للحياة الاجتماعية، يزيد من خطر إقصاء الذات كما يبدو أنها تشجع على ارتفاع اضطراب السلوك"<sup>3</sup>

كما أن أشكال الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية والعلائقية تحدّثه ثغرات في القدرة على الترميز لدى الشباب، وتجعله يقدّم التصرف والفعل على التفكير. إنها تعيق لديه إمكانية بناء المعنى وقدرة التأويل، وتعزّز عنده المرور إلى الفعل العنيف. "فالهوة الرمزية التي تؤدي إليها أو تعمقها الهشاشة تتجسد عبر الأولوية التي تُعطى للتصرف وللعمل وعبر وجود صعوبة في التمثيل، وبناء المعنى والتأويل. كما يمكن أن تتجسد عبر أشكال من المرور إلى الفعل العنيف"<sup>4</sup>

مع ذلك، لا ينبغي أن نخلص من هذا أن شباب الفئات الاجتماعية المحضوة سوسيو-اقتصاديا لا يمارسون أشكالاً من العنف، أو لا يرتكبون أفعال عنف يعاقب عليها القانون و/أو يرفضها المجتمع. فقد بيّن "جون كلود شونباردولف" (Jean-Claude Chambardon) وجود ضعف تمثل الجنوح (sous-représentation) داخل أوساط الطبقات المتوسطة والعليا، مقابل تضخم هذا التمثيل (sur-représentation) بالنسبة للطبقات الشعبية التي تعرف الهشاشة السوسيو-اقتصادية. في حين أن الواقع يُظهر كيف أن أفعال العنف المسماة جنوحاً ليست سمة خاصة بالفئات التي تعرف هذه الهشاشة، وإنما فقط تختلف أنماط هذه الأفعال باختلاف الفئات الاجتماعية.

<sup>1</sup> Kettani Myriam et Euillet Séverine . (2012). Expérience paternelle en situation de précarité socio-économique : repérage et considération des spécificités. *Enfances Familles Générations (revue internationale)* (16). pp. 18-19

<sup>2</sup> Thémis Apostolidis et al. (2003). Construction du rapport aux drogues dans un contexte de précarité. 9 (2). p. 78

<sup>3</sup> Vandecasteele Isabelle et Lefebvre Alex. (2006). De la fragilisation à la rupture du lien social : approche clinique des impacts psychiques de la précarité et du processus d'exclusion sociale. (<http://www.cairn.info>, Éd.) *Cahiers de psychologie clinique*, 1 (26). p. 138

<sup>4</sup> Vandecasteele Isabelle et Lefebvre Alex. De la fragilisation à la rupture du lien social : approche clinique des impacts psychiques de la précarité et du processus d'exclusion sociale.opc. p159.



فالجنوح الأنومي (anomique)، كعلامة وكنتيجة لأزمة تربوية، هو ما يميز جنوح مراهقي الطبقات المحظوظة، بينما جنوح الطبقات الشعبية هو "توطني" (endémique) يرتبط بنمط حياة هذه الطبقات<sup>1</sup>. مما يعني أن أفعال العنف، خصوصاً منها التي تدخل ضمن الجنوح، ليست حكراً على الفئات الاجتماعية التي تعرف الهشاشة السوسيو-اقتصادية، لكن ارتفاع معدلها داخل هذه الفئات وارتباطها بنشأة اجتماعية (sociogénese) خاصة بهذه الفئات، يجعل أفعال العنف لدى الشباب المنتمي إليها موضوعاً متميزاً للدراسة (sui generis)<sup>2</sup>.

### 1- العنف لدى الشباب وهشاشة السكن

لقد بينت بعض الأبحاث الميدانية حول مناطق الإقصاء داخل المدينة، أن الشباب الغاضب المتحمس للعنف، هم في الأغلب أبناء أسر متسعة البنية تعيش في مساكن مكتظة، وتعرف أزمت اجتماعية عامة وصعوبات مختلفة<sup>3</sup>. ولذلك فإن "العنف، والثورات، واليأس (الغضب الشديد) يُفسّر بهمجية الإقصاء وضخامة الإحباطات، خصوصاً تلك التي يعاني منها الشباب"<sup>4</sup>. فبعض الدراسات قد بينت، انطلاقاً من العينة التي شملتها الدراسة، كيف أن العنف الزوجي، على سبيل المثال، "يشمل-النساء اللواتي يعشن في مساكن مكتظة بنسبة 12،6% (...) ويتضاعف العنف الزوجي 4 مرات في حالة الأسر التي تعيش في سكن ضيق (4 أو 5 أفراد في غرفة واحدة)"<sup>5</sup>. وفي دراسة لـ جعفر عبد الأمير الياسين، والتي قامت على المقارنة بين مجموعتين (أسرتين) الأولى تجريبية (أسرة بها جانحين) والثانية ضابطة (أسرة ليس بها جانحين) "تبين أن 25% من عوائل الجانحين يسكنون في غرفة واحدة، مقابل 23،33% من عوائل غير الجانحين"<sup>6</sup>.

إن الهشاشة المرتبطة بظروف السكن، يمكنها إذن أن تؤثر على سلوك الطفل، وتولد لديه ميولات منحرفة واتجاهات بارزة نحو ارتكاب أفعال عنف خطير عند مرحلة الشباب. فهشاشة السكن وضيق أو انعدام مجال الحميمة ينمي في الطفل "كره دفين للوالدين، من جراء وقوفه على الممارسة الجنسية بينهما، وتأثره بما يسمع لدى الجيران، وصعوبة أداء الواجبات المدرسية، وتدمير العائلة من الازدحام، ناهيك عن احتكاك الأجساد، وسماع كل شيء ومنه الكلام البديء"<sup>7</sup>. ف"الأسرة التي يعيش أفرادها ذكورا وإناثا في مسكن مزدحم وضيق، لا يتاح لها الاحتفاظ بمستوى مقبول من المعاملة بين أفرادها ولا يوفر السلوك الأخلاقي المطلوب"<sup>8</sup>. من هنا يتضح أن الظروف السكنية السيئة، باعتبارها مؤشراً على الهشاشة الوضع السوسيو-اقتصادي، تلعب دوراً هاماً في تنامي جنوح الأحداث. فبعض الدراسات الميدانية بينت أن "33 % من أسر الجانحين يعيشون في غرفة واحدة مقابل ذلك 18،4% من أسر غير الجانحين"<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> Chambardon Jean-Claude. (1971). La délinquance juvénile, essai de construction d'objet. *revue Française de sociologie*, XII (2).

<sup>2</sup> Mauger Gerard . *La sociologie de la délinquance juvénile*. Opc. p. 28

<sup>3</sup> Stéphane Beaud . (2007). Territoires d'exclusion. (www.cairn.info, Éd.) *Revue Projet*, 4 (299).

<sup>4</sup> Bresson Maryse . (2007). *sociologie de la précarité*. Armon Colin. p. 87

<sup>5</sup> طارق حسن. (2011). الحالة الاجتماعية 2010-2011 تقرير حول السياسات العمومية الاجتماعية بالمغرب. الرباط: المجلة المغربية للسياسات العمومية.

<sup>6</sup> الياسين جعفر عبد الأمير . (1981). أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. بيروت: عالم المعرفة. ص 121

<sup>7</sup> الأزهر محمد . (2000). مبادئ في علم الإجرام. الدار البيضاء: مطبعة دار النشر المغربية. صص 105-106

<sup>8</sup> جعفر علي محمد . (1990). الأحداث المنحرفون. بيروت: المؤسسة الجاعية للدراسات و النشر و التوزيع. ص 64

<sup>9</sup> الياسين جعفر عبد الأمير. أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. مرجع سابق ص 121



وتؤكد العديد من الأبحاث في علم الاجتماع الجنائي، أن هشاشة بنية الأسر وعدم كفاية دخلها لتلبية احتياجاتها الأساسية، من شأن أحدهما أو هما معا أن يؤديا إلى اهتزاز كيان العائلة، وانعكاس ذلك على شخصية وسلوك أبنائها. وربما ساعد ذلك على انحرافهم وبالتالي ارتكابهم لأفعال عنف يعاقب عليها القانون<sup>1</sup>. فارتفاع عدد أبناء الأسر، التي تعاني هشاشة اجتماعية واقتصادية، يؤدي إلى ارتفاع احتمال التفكك الأسري وجنوح هؤلاء الأبناء. فإحدى الدراسات ستستخلص أن " 23،33% من أسر الجانحين لديها 7 أطفال مقابل 20% من أسر غير الجانحين، وهي أعلى نسبة. وأن متوسط عدد الأبناء في أسر المجموعة التجريبية هو 7 أطفال، مقابل 6 أطفال عند أسر المجموعة الضابطة<sup>2</sup> "3. وهو ما أكدته دراسة عنان محمد أديب العابدي، التي أظهرت " أن متوسط حجم العائلة في المجموعة التجريبية – أسر الجانحين- هو 8،4 فرداً، ومتوسط حجم العائلة في المجموعة الضابطة – عوائل غير الجانحين- هو 7،6 فرداً "4 .

### استخلاص

يتبين إذن مما سبق مدى تقاطعية أشكال الحرمان الاجتماعي والإقصاء الاقتصادي وتنامي العنف لدى الشباب. فهشاشة السكن وتنامي مناطق الإقصاء داخل المدينة بطور المحيط الإجرامي ويساهم في انتشار العنف والجريمة في أوساط الشباب. ففي هذه المناطق تصبح فئات واسعة من الشباب فئات غاضبة متحمسة للعنف. كما تؤدي هشاشة بنية الأسر وعدم كفاية دخلها إلى اهتزاز كيان العائلة، وانعكاس ذلك على شخصية وسلوك أبنائها وجعلهم أكثر ميلا إلى ارتكاب أفعال العنف المجرمة من طرف المجتمع.

مع ذلك، فإننا لا نقصد من وراء هذا المقال القول بأن الحرمان والإقصاء الاجتماعي والاقتصادي الذي قد يعاني منه الشباب، يؤديان بالضرورة وبشكل آلي إلى تنامي العنف لديه. ولكننا نعتبر أن هذا الحرمان والإقصاء هو من أهم العوامل التي عندما تتضافر مع عوامل أخرى متعددة مساعدة أو وسيطية، تصبح آنذاك فاعلة في تطور أشكال الجريمة والعنف لدى هذه الفئة من المجتمع.

### البيبلوغرافيا

#### المراجع باللغة العربية

1. الأزهر محمد. (2000). مبادئ في علم الإجرام. الدار البيضاء: مطبعة دار النشر المغربية.
2. امعمري لحبيب. (أبريل، 1999). دراسة ظاهرة تشغيل الأطفال في علاقتها بالوسط شبه الحضري. (مختبر الأبحاث والدراسات النفسية والاجتماعية جامعة محمد بن عبد الله كلية الآداب و العلوم مالايسانية ظهر المهرار فاس، المحرر) دفاثر (الطفولة بفاس معطيات وتساولات).

<sup>1</sup> نشأت إبراهيم أكرم . (1970). علم الاجتماع الجنائي. بغداد: بدون دار النشر. ص 699

<sup>2</sup> المجموعة الضابطة في هذا البحث تضم أسر غير الجانحين ( هذا التوضيح من عندنا )

<sup>3</sup> الياسين جعفر عبد الأمير . (1981). أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. بيروت: عالم المعرفة. ص 123

<sup>4</sup> الياسين جعفر عبد الأمير. أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. مرجع سابق. ص 121

3. أوزي أحمد. (2011). المراهق والعلاقات المدرسية. الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة (الطبعة الثالثة).
4. جعفر علي محمد. (1990). الأحداث المنحرفون. بيروت: المؤسسة الجاعية للدراسات والنشر والتوزيع.
5. جلال سعد. (1971). المرجع في علم النفس. دار المعارف المصرية.
6. الجميلي خيري خليل. (1998). السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
7. حمداوي إبراهيم. (2012). التغير الاجتماعي وظاهرة الجريمة بالمغرب. مقاربات.
8. خير الزراد فيصل محمد. (2004). مشكلات المراهقة والشباب في الوطن العربي. بيروت: دار النفائس.
9. ربيع مبارك. (1996). الشباب المغربي في أفق القرن الحادي والعشرين (الإصدار منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية). الرباط.
10. طارق حسن. (2011). الحالة الاجتماعية 2010-2011 تقرير حول السياسات العمومية الاجتماعية بالمغرب. الرباط: المجلة المغربية للسياسات العمومية.
11. غدنز أنتوني. (2005). علم الاجتماع. (فايز الصياغ، المترجمون) المنظمة العربية للترجمة.
12. مصلح سعيد عبد اللطيف عبد القوي. (2010). مشاكل الوسط الأسري وعلاقتها بانحراف الأحداث. مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
13. نشأت إبراهيم أكرم. (1970). علم الاجتماع الجنائي. بغداد: بدون دار النشر.
14. الياسين جعفر عبد الأمير. (1981). أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث. بيروت: عالم المعرفة.

#### المراجع باللغة الفرنسية

15. Bergeret Jean . (2002). La mère, l'enfant... et les autres Violence et agressivité. *Médecine & Hygiène | Psychothérapies*, 22(3) .
16. Bresson Maryse . (2007). *sociologie de la précarité*. Armon Colin.
17. Carra Daniel, Cécile et Faggianelli. (2003). Violences à l'école : tendances internationales de la recherche en sociologie. (<http://www.cairn.info>, Éd.) *Déviance et Société*, 27(2).
18. Chamboredon Jean-Claude. (1971). La délinquance juvénile, essai de construction d'objet. *revue Française de sociologie*, XII(2).
19. chazal jean . (1979). *l'enfance d'élinquante*. PUF.
20. Chesnais Jean-Claude . (1981). *Histoire de la violence*. (R. Laffont, Éd.) Paris.
21. Debarbieux Eric . (1997). *la violence en milieu scolaire -I- Etat des lieux* (éd. 2). Paris: ESF.
22. Driss Bensaïd. (2005, juin/juillet). Les jeunes marocains et la gestion des risques (sexualité, tabagisme et drogues). (H.-C. a. Plan, Éd.) *Les Cahiers du plan dossier spécial la jeunesse marocaine attitudes, comportement et besoins*.
23. Dufour-Gompers Roger. (1992). *Dictionnaire de la violence et du crime*. Toulouse: Eres.
24. Faget Jacques . (2002). *Sociologie de la délinquance et de la justice pénale*. érés.

25. Goffman Erving. (1991 (1974)). *Les Cadres de l'expérience*. (I. J. Joseph, Trad.) Paris: Minuit .
26. Haut Commissariat au Plan. (1999). *Conditions socio-économiques des adolescents*. Haut Commissariat au Plan.
27. Héritier François . (1996). *De la violence*. Paris: Odile Jacob.
28. Jean-Paul Sartre. (1943). *L'Être et le néant. Essai d'ontologie phénoménologique*. Collection Bibliothèque des Idées, Gallimard.
29. Kettani Myriam et Euillet Séverine . (2012). Expérience paternelle en situation de précarité socio-économique : repérage et considération des spécificités. *Enfances Familles Générations (revue internationale)*(16).
30. Lathanh Kohl . (1978). *Jeunesse exploitée, jeunesse perdue*. Paris: PUF.
31. Lazar Judith . (2002). *La violence des jeunes comment fabrique-t-on des délinquants?* Flammarion.
32. Lutte Gérard . (1982). *Supprimer l'adolescence?* Paris: ouvrières.
33. Maffesoli Michel . (1984). *Essai sur la violence*. Paris: Klincksieck.
34. Mauger Gerard . (2009). *La sociologie de la délinquance juvénile*. coll Repères.
35. Michaud Yves . (1986). *La violence*. Paris: PUF.
36. Molaro Christian . (1998). *violences urbaines et violences scolaires*. Harmattan.
37. Mongin Olivier . (1997). *La violence des images*. Paris: Seuil.
38. Prieur Elisabeth . (2007). LE TRAVAIL SOCIAL FACE À LA PAUVRETÉ. (D. B. Supérieur, Éd.) *Pensée plurielle*, 3 (16).
39. Ringa Rachid et Jeffrey Denis . (2011). *Violence et crimes manifestations et remèdes*. RABAT.
40. Sibony Daniel. (1998). *Violence*. Paris: Seuil.
41. Stéphane Beaud . (2007). Territoires d'exclusion. (www.cairn.info, Éd.) *Revue Projet*, 4(299).
42. Thémis Apostolidis et al. (2003). Construction du rapport aux drogues dans un contexte de précarité. 9(2).
43. Vandecasteele Isabelle et Lefebvre Alex. (2006). De la fragilisation à la rupture du lien social : approche clinique des impacts psychiques de la précarité et du processus d'exclusion sociale. (http://www.cairn.info, Éd.) *Cahiers de psychologie clinique*, 1(26).
44. Yves Michaud. (2010). *la violence* (éd. 6). Paris: Point Delta(6eme éd).